الملك عبدالعزيز ومعالجة الأوضاع الاقتصادية السيئة في وسط المملكة العربية السعودية وشمال شرقها

خلال الحرب العالمية الثانية من خلال أحد التقارير البريطانية

ترجمة وتحرير: د. فهد بن عبدالله السماري

أمين عام دارة الملك عبدالعزيز

مرت المملكة العربية السعودية بظروف اقتصادية صعبة جدًا أثناء الحرب العالمية الثانية، وذلك مثل بقية الدول الأخرى في المنطقة، وازدادت صعوبة تلك الظروف في المملكة لانقطاع التموين عبر البحار بسبب الحرب وموجة الجفاف التي اجتاحت البلاد. ولقد تمكن الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود من معالجة هذه الأزمة عبر عدد من السياسات والمواقف التي تعكس حرصه -رحمه الله- وعنايته بالناس والعمل على التخفيف من حدة الأزمة الاقتصادية التي كانوا يعانونها.

وتكشف لنا تقارير نشرها مركز الشرق الأوسط للتموين (Middle East Sypply Centre) الكثير من المعلومات المهمة عن الأوضاع الاقتصادية في البلاد السعودية أثناء الحرب العالمية

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الرابع شوال ١٤٣٠هـ، السنة الخامسة والثلاثون

الدارة

الثانية، ومركز الشرق الأوسط أسسته بريطانيا عام ١٩٤١م ليقوم بإدارة برنامج السيطرة على التجارة الخارجية بصورة مركزية.

ومن تلك التقارير التي تتناول الجوانب الاقتصادية ما أعده المقيم السياسي البريطاني في الكويت عن أوضاع الغذاء في وسط وشمال الجزيرة العربية في عام ١٩٤٥م الموافق ١٣٦٤هـ. ويميز هذا التقرير وجود مجموعة من التفاصيل عن أسعار المواد الغذائية في المنطقة. كما يبيّن هذا التقرير الإجراءات التي قام بها الملك عبدالعزيز لمواجهة تلك الظروف الصعبة ومساعدة المواطنين المتضررين. فلقد أشار التقرير إلى افتتاح الملك عبدالعزيز مقرات عديدة للضيافة التي تقدم الطعام للناس مجانًا مراعاة لظروفهم، وخصص الملك عبدالعزيز مضافات خاصة بالنساء وللبادية والزوار.

كما خصص الملك عبدالعزيز مخيمًا في بنبان لإقامة المحتاجين الذي فقدوا مواشيهم وجمالهم بسبب الجفاف والمجاعة التي اجتاحت المنطقة وجاؤوا لطلب المساعدة من العاصمة الرياض. وتضمنت تلك المخيمات ثلاثة مراكز لتقديم الطعام مجانًا للنساء وكبار السن والشباب والأطفال.

ويوضح لنا هذا التقرير ما أصدره الملك عبدالعزيز من قرارات بشأن إرسال شاحنات بالمواد الغذائية إلى حفر الباطن والمناطق المحيطة بها بسبب تضررهم وظروفهم القاسية، كما تناول التقرير ما قام به الملك عبدالعزيز من وضع المراكز لتوزيع المواد الغذائية مجانًا في القصيم وحائل وغيرها.

ولا شك في أن هذا التقرير يكشف لنا مدى الجهود التي بذلها الملك عبدالعزيز من أجل التخفيف من معاناة شعبه ومواطنيه الذين تضرروا من الأوضاع الاقتصادية أثناء الحرب العالمية الثانية، وبسبب الجفاف وانقطاع التموين التجاري ونحو ذلك. وتعكس أيضًا تلك الجهود نجاح الملك عبدالعزيز في الحصول على التموينات الغذائية من الولايات المتحدة وبريطانيا أثناء الحرب العالمية الثانية من خلال دبلوماسيته الماهرة التي أنقذت بلاده وشعبه.

وسأترك للقارئ تفاصيل هذا التقرير من خلال ترجمة محتوياته وفق الآتي:

تقرير موجز عن حالة الغذاء في وسط المملكة العربية السعودية وشمال شرقها(١)

١- ليس من السهل الحصول على معلومات يعتمد عليها من داخل المملكة العربية السعودية بشأن الوضع الغذائي وصعوبات الحصول على الملابس التي يواجهها الناس، ولكن يمكن القول عمومًا بصحة الآتي:

أ - يوجد في المدن في كل مكان وفر معقول للإمدادات الغذائية بكافة أنواعها.

---

(١) هذا التقرير ترجمة عن التقرير الأصل باللغة الإنجليزية:

"A Note on the Food Situation in Central and North Eastern Saudi Arabia" (Kuwait, 30 November 1945).

أعد هذا التقرير ديكسون H.R.P. Dickson الوكيل السياسي البريطاني في الكويت وذلك لصالح قسم الأغذية بمركز الشرق الأوسط للتموين بالقاهرة.

ب - يوجد بين القبائل حالات جوع جزئية، ويوجد نقص ملحوظ في الأغذية من المحتمل أن يزداد سوءًا.

٢ - كما أشير في (أ) فإن البلدان التي تقع على الساحل أو تلك التي هي قريبة من البر مثل القطيف والجبيل والهفوف فهي أفضل حالاً من تلك البلدان في وسط الجزيرة العربية التي أدت تكلفة النقل والمواصلات إلى ارتفاع الأسعار فيها إلى مستوى لم يعرف من قبل.

كما أشير في (ب) فإن الأمطار كانت أفضل في عامي ١٩٤٠م و ١٩٤١م في المنطقة الواقعة جنوب الخط الافتراضي المتجه شرقًا وغربًا من خلال المجمعة (إلى الشمال من مدينة الرياض). والقبائل في جنوبي الأحساء ونجد في وضع أقل سوءًا من القبائل التي تقطن في الشمال من هذا الخط.

٣ - يبدو أن المنطقة الأسوأ من حيث توافر الأغذية هي الحدود الشمالية للمملكة العربية السعودية على خط الكويت إلى حائل، بمنطقة يصل عمقها إلى نحو ٢٠٠ ميل جنوب هذا الخط. ويبدو أن أشد القبائل السعودية التي تعرضت لنقص الغذاء هي قبيلتا حرب وشمر، وبشكل أخف من هؤلاء القبائل القاطنة على الحدود الشمالية مثل قبيلتي الظفير والدهامشة التي تسكن شمالي هذه المنطقة بشكل مباشر.

٤ - يمكن القول إن أحوال المجاعة انتشرت هذا اليوم (خريف ١٩٤٢م) في هذه المنطقة التي تعرضت للجفاف، والأغنام

والجمال التي نفقت بسبب الجوع يتم أكلها دائمًا من قبل الناس الجائعين في كل مكان رغم أن الدين يحرم ذلك.

من الطبيعي أن يوجد معدلات عالية في الوفيات بشكل غير عادي بين البدو في هذه المنطقة خاصة بين النساء والأطفال، على الرغم من أنه يمكن القول بكل ثقة إنه لولا إجراءات الإغاثة التي اتخذها هذا الصيف جلالة الملك عبدالعزيز الذي استخدم شاحنات الدولة دون قيود لنقل الأغذية إلى المناطق التي تعرضت لأقسى الأوضاع، لولا تلك الإجراءات لارتفع في الحقيقة معدل الوفيات فيها بشكل كبير.

يمكن إيجاز أسباب الأوضاع المشار إليها أعلاه في الآتي:

أ - عدم سقوط الأمطار في السنتين الماضيتين في شمال الجزيرة العربية ووسطها، مما أدى إلى ضعف المحاصيل في الحبوب وارتفاع وفيات الجمال.

ب - عدم وجود المال لدى البادية لشراء الغذاء والملابس التي أصبحت أسعارها مرتفعة.

ج - حظر الحكومة العراقية تصدير التمور التي هي الغذاء الأساسي للبادية السعودية شمال الجزيرة العربية، وارتفاع أسعار المواد المهربة (التمور التي كانت أسعارها ٣ ريالات للمن(٢) الواحد في عام ١٩٤١م أصبحت في الحفر اليوم ٣٦ ريالاً).

(٢) وحدة وزن هندية سائدة آنذاك وإلى حد ما إلى اليوم تعادل قرابة ٨٠ رطلاً.

د - ضعف حالة الجمال في كل مكان، مما أدى إلى استحالة استخدامها من قبل أصحابها في مسألة التجارة أو ما يسمى بالمسابلة، أي بمعنى آخر أن الجمال كانت ضعيفة جدًا ولا تتمكن من القيام بالرحلة إلى المدن التي تتوافر بها مواد الأغذية، سواء في العراق أو الكويت أو الأحساء.

هـ - عدم توافر نوى التمر الذي يستخدم لإطعام المواشي عند حدوث انحسار المراعي التي لم تعد موجودة (الكويت والأحساء فقط).

و - انخفاض حجم المواد المستوردة من الهند.

٥ - سوف توضح أدناه الأسعار الخاصة بالمواد الغذائية السائدة اليوم في:

أ - القطيف، الخبر، الجبيل، الهفوف، (إقليم الأحساء).

ب - الرياض.

مع بيان مفصّل لأوضاع الغذاء السائد بين القبائل في الأحساء ومنطقة الصمان (اللصافة، اللهابة، حفر الباطن، قبة ....الخ).

٦ - مناطق القطيف والجبيل:

أ - أرز بلام (ككلتا) سعره ٥٠ ريالاً للكيس.

ب - أرز كراتشي سعره ٣٦ ريالاً للكيس.

ج - أرز هوره سعره ٣٦ ريالاً للكيس.

د - أرز مزة سعره ٣٦ ريالاً للكيس.

المواد المذكورة أعلاه متوافرة بشكل معقول في المدن المشار إليها، وكيس من هذه المواد يمكن شراؤه في وقت ما من قبل شخص معروف إذا تم الحصول على إذن من الحكومة المحلية.

أما عامة الناس فيسمح لهم بشراء أوقية محلية في وقت من الأوقات (زنة ٤ أرطال).

السكر: ٤ أرطال (أوقية) سعره ٢ ريال، كيس أربعة وعشرين ومئتي رطل سعره ٩٥ ريالاً.

قمح: غير متوافر.

دقيق هندي: كيس سعره ٥٠ ريالاً.

الشعير: غير متوافر.

الشاي: ٤ أرطال (أوقية) ٩ ريالات.

سمن: ٤ أرطال (أوقية) ٥ ريالات.

وتصدير هذه المواد المذكورة محظور.

٧ - منطقة الهفوف:

الأسعار هي أسعار المنطقة المذكورة أعلاه نفسها علاوة على تكاليف النقل.

٨ - التمور:

المصدران الأساسيان لتأمين التمور في شرق ووسط الجزيرة العربية هما القطيف والأحساء (الهفوف). في القطيف تنتج تمور غير جيدة، والهفوف تنتج تمورًا ذات جودة عالية.

تمور القطيف: سعر "القوصرة" وهي سلة صغيرة تزن ٤٠ رطلاً هو ٢ - ٤ ريالات، وسعر المن زنة ٨٠ رطلاً ٤-٨ ريالات.

تمور الهفوف: سعر القلة زنة ١٣٥ رطل ٦ ريالات، سعر المن الحساوي زنة ٥٤٦ رطل ١٢ ريالاً.

ملاحظة:

أ - الأسعار المذكورة أعلاه تماثل أسعار قوصرة الكويت (زنة ٩٠ رطلاً) التي تبلغ ٩ ريالات، وأسعار المن (زنة ١٨٠ رطل) تصل إلى ١٨ ريالاً (٣٠ نوفمبر ١٩٤٢م).

ب - تصدير تمور القطيف والهفوف محظور تمامًا وأسعارها منخفضة بفعل سيطرة الدولة، ولكن توافر التمور محدود.

ولقد أمر الملك جميع القبائل في الأحساء التي تقطن في المناطق المجاورة للقطيف بشراء التمور من تلك المدينة، والقبائل الأخرى التي تعيش بالقرب من واحة الأحساء بشراء التمور من الهفوف فقط. وهذا الأمر يتعلق ببني خالد وبني هاجر والعدوان والزعب وبعض أقسام قبائل المناصير وبني مرة.

٩ - قبائل العوازم والعجمان في شمال الأحساء ووسطها مطلوب منها المسابلة في الجبيل أو الهفوف، ولأن جمالهم في حالة جيدة بسبب سقوط الأمطار المتأخرة في الربيع في جنوب الأحساء - والتي أدت إلى وجود مراعي جيدة - فإن رحلتهم نحو الجنوب ليست بذات الصعوبة.

١٠- منطقة الرياض: الأسعار السائدة هنا للأغذية والملابس أعلى من تلك التي على الساحل كما سيتبين أدناه، وهذا مرة أخرى يرجع إلى سبب التكلفة وصعوبة الحصول على وسائل نقل.

أرز كراتشي (٤٥ ريالاً) للكيس الواحد.

أرز هوره (٦٠ ريالاً) للكيس الواحد.

قمح نجدي (٤٠ ريالاً) للكيس الواحد.

السكر للكيس زنة ٢٢٤ رطلاً (٧٠ ريالاً).

القهوة (٩٠ ريالاً) للكيس الواحد.

الهيل للكيس زنة ٢٥ رطلاً (٧٠ ريالاً).

سمن للأوقية الواحدة زنة ٤ أرطال (٣ ريالات).

تمور قلة الأحساء زنة ١٣٥ رطلاً (٩ ريالات).

تمور للمن الحساوي زنة ٥٤٦ رطلاً (٣٦ ريالاً).

وأسعار الملابس والمواد القطنية في ندرة شديدة، حيث تصل كلفة العباءة العادية إلى ٤٠ ريالاً في الكويت اليوم، في حين يصل سعرها في الرياض إلى ٨٠-٩٠ ريالاً.

١١ - وفي الرياض - التي تقع مباشرة تحت نظر الملك عبدالعزيز - يحظى السكان بالرعاية الجيدة، في حين أن البدو القاطنين في المناطق المحيطة بالعاصمة (سبيع وسهول وقحطان ...إلخ) استطاعوا إرسال جمالهم وماشيتهم إلى الجنوب حيث تكون المراعي أفضل، ولذا

فإن حالة الجمال جيدة، مما يعني عدم وجود نقص كبير في الأغذية بين هذه القبائل، ولكنهم يعانون نقصًا شديدًا في الملابس.

١٢- وفي مدينة الرياض نفسها افتتح الملك عبدالعزيز أربعة مقرات مختلفة للضيافة (المضافات) التي تقدم الغذاء المطبوخ مجانًا وهي:

أ - مضيف للأجانب والزوار.

ب - مضيف لنساء المدينة.

ج - مضيف للبادية نساء ورجال.

د - مضيف لرجال المدينة.

وكذلك خصص الملك عبدالعزيز في بنبان (٢٠ ميلاً شمال الرياض) مخيمًا للفقراء من البادية الذين فقدوا جمالهم وماشيتهم واتجهوا إلى الرياض لطلب المساعدة، وتضمن المخيم إنشاء ثلاثة مراكز لتقديم الطعام المطبوخ مجانًا وفق الآتي:

أ - مخيم للنساء البدويات.

ب - مخيم لكبار السن من رجال البادية.

ج - مخيم لشباب وأطفال البادية.

١٣- منطقة قرية العليا، اللصافة، اللهابة، القرعا، حفر الباطن، أم رضمة، قبة، لينة، والجنوب الغربي باتجاه حائل: هي مركز خط المئتي ميل لعرض منطقة الجفاف

المذكورة أعلاه، والأماكن المذكورة أعلاه هي مناطق استقرار لمخيمات البدو البسيطة، وكل منطقة يوجد بها مخيمات كبيرة في الصيف الماضي وصل بعضها في بعض الحالات إلى ٢٠٠٠ خيمة، وفي المناطق المجاورة للصافة، واللهابة، والقرعا، كانت المراعي للجمال جيدة إلى حد ما، ولم يحدث لقطعان مطير - رغم أنها لم تكن سمينة خلال الصيف الماضي - من وفيات كما حدث لقطعان حرب على سبيل المثال، ولكنها لم تكن بحال جيدة لمواصلة الرعي إلى الزبير والكويت أو الجبيل من أجل الحصول على مواد غذائية، حتى في حالة عدم وجود قيود في المدينتين.

لذا فإن البادية المقيمة في هذه المناطق يعتمدون اليوم على سيارات الشاحنات الخاصة بالملك عبدالعزيز لتزويدهم بالأرز، والتمور (استئجار شاحنة من الكويت إلى أول خمس مناطق للمياه المذكورة أعلاه يكلف نحو ٢٥٠ ريال، وهو سعر يتجاوز إمكانيات البدو العاديين أو مجموعة منهم).

١٤- في مناطق الهفوف، قبة، أم رضمة، لينة، وكان الرعي بشكل خاص سيئًا خلال الصيف الماضي، وتأمين المواد الغذائية كان ولا يزال خطرًا، والبدو الذين خيموا بهذه المناطق فقدوا عددًا كبيرًا جدًا من جمالهم وماشيتهم نتيجة لما سبق أن أشير إليه من عدم هطول أمطار خلال السنتين الماضيتين في شمال نجد، والجمال التي سلمت

من هذه الظروف أصبحت اليوم ضعيفة ولا يمكن استخدامها للمسابلة.

ستظل هذه الحالة حتى ربيع عام ١٩٤٣م عندما تتحسن الأحوال إذا هطلت أمطار في الشتاء القادم، ولقد منعت هذه الظروف السيئة الكثير من العوائل البدوية من التحرك من مناطق الآبار هذا العام بشكل كامل، بسبب فقدانهم جميع ماشيتهم وإبلهم، هذه بحد ذاتها تعد كارثة، ليس لأنها تجعل من المستحيل الحصول على مواد غذائية لأنفسهم فحسب، بل أيضًا لأنه ليس لديهم الوسائل لشراء تلك المواد حتى في حالة تمكنهم من استئجار جمال بالأسعار العالية جدًا التي تسيطر اليوم على السوق في المدن. (على سبيل المثال سلة تمور من الأحساء يصل سعرها إلى ٣٥ ريالاً). هؤلاء الناس الفقراء إذن سيواجهون المجاعة واحتمال الموت هذا الشتاء.

١٥- الوضع في الحفر وما يليها من الغرب أصبح سيئًا ويائسًا جدًا، مما أدى إلى أن يصدر الملك عبدالعزيز أمره منذ شهرين بإرسال شاحنات المواد الغذائية إلى الحفر ومناطق المياه العديدة في الغرب، ولإعطاء كل ساكن خيمة كيسًا من الأرز، ومنًا نجديًا من التمر ولفة قماش من القطن، وأيضًا حسب أوضاع الناس ومدى سوئها يقدم لهم مبلغًا من المال يُراوح بين (١٠) و(٢٠) ريالاً للشخص الواحد. وأي شخص كان يحصل على عادته

السنوية من الملك عبدالعزيز وكان معتادًا على الحضور إلى الأماكن لاستلامها سوف يستلمها وهو في مكانه.

١٦- ومناطق الآبار في الغرب باتجاه حائل تم مساعدتها بالطريقة بنفسها، في حين أن البيوت القريبة مثل البيوت في قرية العليا أنشئ لها نقاط على استعداد لإتاحة مواد الأغذية بسعر الجملة لجميع سكان البادية.

١٧- في القصيم ولا سيما في مدن بريدة وحائل (جبل شمر)، وضع الملك عبدالعزيز منذ فترة مراكز لتوزيع المواد الغذائية والأطعمة مجانًا مثلما حدث في الرياض. وينبغي الاعتراف هنا أن سكان هذه المدن هم أفضل حالاً من البدو؛ لأنهم يستطيعون الحصول على كميات قليلة من القمح والتمر المنتج محليًا، وأيضًا لوجود أسواق للمزارع في كل مكان في المناطق المحيطة بالمدن. كما أنهم لا يعتمدون على الأرز المستورد من الهند مثل اعتماد البدو عليه، إذ تربوا على أكل الخبز بدلاً منه.

١٨- ولإيجاز النقاط المذكورة أعلاه يمكن القول بشكل واضح إنه يوجد فقر كبير جدًا ومجاعة حقيقية بين قبائل نجد اليوم أكبر من تلك الحالة السائدة بين بدو الكويت، وذلك لأنهم يواجهون وقتًا عصيبًا - كما نعرف - بسبب اعتمادهم في الغذاء على التمور، وهي إما غير متوافرة أو تتجاوز إمكاناتهم المادية المحدودة.

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الرابع شوال ١٤٣٠هـ، السنة الخامسة والثلاثون
الدارة